# محاضرات مقياس

# بنية النص النثري القديم

## د.صباح غرايبية

## السنة الأولى ماستر .ل م د

## تخصص الأدب العربي القديم

## الأفواج :3-4

## المجموعة:2

## السداسي الأول

## الموسم الجامعي 2021-2022

# المحاضرة الثانية

### الأشكال النثرية قبل الإسلام

**المحاضرة 2**

### الأشكال النثرية قبل الإسلام

**النثر في العصر الجاهلي :لقد تميز النثر في هذا العصر بقلة نماذجه التي وصلت إلينا مقارنة**

**بعصور لاحقة، وذلك بسبب تناقل الناس لهُ بالطريقة الشفهية مما أدى إلى ضياعه وعدم وصوله إلينا كاملاً غير أن النصوص النثرية المدوّنة التي وصلتنا بدءاً من الجاهلية إلى القرن السابع الهجري تفوق مثيلاتها في الحضارات واللغات الأخرى.**

**لقد عرف التراث الأدبيّ العربيّ أجناساً نثرية عدة فبدءاً بالأمثال، وسجع الكهّان، والخطابة، والمنافرات، والمراسلات، والوصايا، والأخبار، والقصص، وقصص الحيوان، وقصص العشّاق، والقصص الفُكاهي، والقصص الدينيّ، والقصص الصوفيّ، والطُّرف، والنوادر، والحكايات، والمقامات، والمنامات، ومراسلات الخلفاء والولاة والقضاة، ومروراً بالحِجاج، والمناظرات، والمقابسات، والمساجلات وانتهاء بنصوص الرحلات، وأدب السّير**

**<u>بنية الخطاب النثري في العصر الجاهلي</u> :**
**.1الخطابة: هي فن الوصول إلى قلوب الجماهير وإقناعهم عن طريق: التأثير العاطفي، أو العقلي، أو كليهما، بكلام بليغ وموجز. وكان من أهم مواضيعها الحث على الدفاع عن القوم، أو التحريض على القتال، أو إغاثة الملهوف .ويستخدمها الملوك والزعماء والقادة في مناسبات سياسية واجتماعية مختلفة.**

**<u>بنية الخطبة</u>: يتكوّن نص الخطبة من ثلاثة عناصر أساسية هي:**

**<u>أ-المقدّمة</u>:للاتصال بالسّامعين، وإعداد نفوسهم للموضوع، ولابدّ أن تكون موجزة جذّابة وعلى صلة وثيقة بموضوع الخطبة.**

**<u>ب-العرض</u>:هو العنصر الأساس في الخطبة، يذكر فيه الخطيب آراؤُه، مُقسّمة مُنَسّقة مؤيّدة بالبراهين، معتمدًا في ذلك على الحجج والبراهين، مُراعيا اللّباقة والتجافي عن السباب، ذاهبا إلى الإقناع والتأثير.**

**<u>ج-الختام أو النتيجة</u>: تلخيص للموضوع وتسجيل على السامعين، يُراعى فيه الإيجاز والوضوح، ويكون جامعًا لأهمّ عناصر الخطبة وموضوعها[1].**

**الخصائص الفنية للخطبة في العصر الجاهلي :**
**كان الخطباء يحرصون على أن تتوافر في خطبهم عدة خصائص، منها:**
**)أ)- وضوح الفكرة.**
**)ب)- جودة العبارة وسلامة ألفاظها.**
**)ج)- التنوع في الأسلوب بين الخبري والإنشائي.**
**)د (قلة الصور البيانية.**
**)هـ)- مراعاة السجع في عباراتها لاسيما في مقامات الفخر خاصة. أما في خطب المحافل وإصلاح ذات البين، مثلاً، فكانوا يستخدمون الأسلوب المرسل .**
**)و)- كانوا يؤثرون قِصَر العبارة في خطبهم، وتوشيحها ببعض الحكم والأمثال، لغرض التأثير والإقناع.**
**)ز)- ليس للخطبة طول محدد، بل قد تطول وقد تقصر، بحسب المقام والموضع والهدف منها.**

---

[1] أحمد الشايب: الأسلوب -دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة.مصر. ط 8. 1991. ص ص (116، 117).

**نموذج من خطب العرب في الجاهلية: نص خطبة قس بن ساعدة في سوق عكاظ: قال قسّ بن ساعدة: «أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا وَعُوا، إِنَّهُ مَنْ عَاشَ مَاتْ، وَمَنْ مَاتَ فَاتْ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتْ...، لَيْلٌ دَاجٍ، وَنَهَارٌ سَاجٍ، وَسَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ، وَنُجُومٌ تَزْهَرُ، وَبِحَارٌ تَزْخَرُ، وَجِبَالٌ مُرْسَاةٌ، وَأَرْضٌ مُدْحَاةٌ، وَأَنْهَارٌ مُجْرَاةٌ. إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَبَرًا، وإِنَّ فِي الأرضِ لَعِبَرًا. مَا بَالُ النَّاسِ يَذْهبُونَ وَلاَ يَرْجِعُون؟ أَرَضُوا بِالمُقَامِ فَأَقَامُوا، أَمْ تُرِكُوا هُنَاك فَنَامُوا؟ [يَا مَعْشَرَ إِيَادٍ: أَيْنَ الآبَاءُ والأَجْدَادُ؟ وأَيْنَ الفَرَاعِنَةُ الشِّدَادُ؟ أَلَمْ يَكُوْنُوا أَكْثَرَ مِنْكُم مَالاً و أطولَ آجالاً؟ طَحَنَهُم الدَّهْرُ بِكَلْكَلِهِ، وَمَزَّقَهُمْ بتطاوُلِهِ].**

**يقسم قسّ بالله قسما لا إثم فيه: إنّ لله دينا هو أرضى لـه، وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه، إنّكم لتأتون من الأمر منكر، ويروى أنّ قسًّا أنشد بعد ذلك يقول:**

| | | |
|---|---|---|
| فـــــي الـــــذَّاهِبِينَ الأَوَّلِيـــــ | *** | ـن مِـــنَ القُـــرُونِ لَنَـــا بَصَـــائِر |
| لـــــمَّا رَأَيْـــتُ مَـــوَارِداً | *** | لِلْمَـــوْتِ لَـــيْسَ لَهَـــا مَصَـــادِرُ |
| وَرَأَيْـــتُ قَـــوْمِي نَحْوَهَـــا | *** | يَسْـــعَى الأَصَـــاغِرُ وَالأَكَـــابِرْ |
| لاَ يَرْجِـــعُ المَاضِـــي إِلَـــيَّ | *** | وَلاَ مِـــنَ البَـــاقِينَ غَـــابِرْ |
| أَيْـــقَـــنَـــتْ أَنِّـــي لاَ | *** | لَـــة حَـــيْثُ صَـــارَ الـــقَـــوْم |
| مَـــحَـــا | | صَـــائِـــرْ[2] |

**وقد اشتهر قسّ بأسلوبه المطبوع، المسجوع، الذي تعمّد فيه اختيار اللّفظ، وقصر الفواصل، وضرب الأمثال، واستنتاج العبر من مصارع الطغاة وظواهر الكون.وبصفة عامة كانت الخطابة في العصر الجاهلي تتسّم بأسلوب رائع اللّفظ، خلاّب العبارة، واضح المنهج، قصير الجمل، كثير الأمثال، وهم إلى قصر الخطبة أميل لتكون أعلق بالصدور وأذيع[**

**2 .الأمثال :المثل قول بليغ موجز يُقال في مناسبات معينه مشابهة لوقائع حصلت قديمًا .وكان للجاهليين حظ وافر وتراث كبير من تلك الأمثال، فالعربي بطبعه يَميل إلى تزيين كلامه وتقويته بضرب الأمثال، ومنها. وقولهم: "تسمع بالمُعيدي خير من أن تراه". (يضرب مثلاً لمن يكون أمره مشهوراً ولكن هيئته لا تدل على ذلك.**

**3.سجع الكهان :هو "أسلوبٌ مسجَّعٌ حافلٌ بالأقسامِ والإبهام، وإغرابٌ يَحتملُ ألوانًا من التأويل". والكهان عند العرب القدماء هم طائفة ادَّعت معرفة الغيبيات والمستقبل بما سُخِّر لهم من الجن الذين يسترقون السمع من السماء. وهذا الضرب من النثر تلاشى وانتهى بمولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم فلم تَعد الجن تسترق السمع, قال تعالى :" وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاء فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً "وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً" سورة الجن.**

وقد ظهر في العرب عدد من هؤلاء الكهان، وفيهم من كانوا حكاماً في المنافرات أيضاً. ومنهم: سَطيحٌ الذئبي، وشِقٌّ الأنماري، وعَوْفٌ الأسَدي، والخُمْسُ التَّغْلبي، وعُزَّى سَلَمَة، ونَفيلُ بنُ عبد العُزَّي، وخنافرُ الحِمْيَري، وسَوادُ بنُ قارِب الدَّوْسي، وعَمْرُو بن الجُعَيْد، وابنُ الصياد، والأبلقُ الأزدي، والأجلحُ الدَّهْري، وعُرْوَةُ بنُ زيد الأزدي، و رياحُ بنُ عِجْلة، وهو المعروف بعزَّاف اليمامة. ومن النساء الكاهنات: فاطمة الخثعمية، وطريفة اليمينية، وعفيراءُ، وكذلك زِبْراءُ؛ كاهنة بني رِئام من قضاعة ومن .نماذج سجع الكهّان :
ما قاله عُزَّى سَلَمَة: والأرضِ والسماء، والعُقَابِ والصَّقْعاءِ، واقعةٍ بِبَقعاءَ، لقد نَفَّرَ المَجْدُ بني العُشَراءِ للمجدِ والثَّناءِ.
وما قالته الكاهنة زِبْراءُ، مُنذرةً قومها بني رئام: "واللوحِ الخافقِ، والليلِ الغاسقِ، والصباحِ الشارقِ، والنجمِ الطارقِ، والمُزْنِ الوادقِ، إنَّ شجرَ الوادي ليَأْدُو خَتْلاً، ويَخْرُقُ أنيابًا عُصْلاً، وإنَّ صخرَ الطَّوْدِ لَيُنْذِرُ ثُكْلاً، لا تجدونَ عَنه مَعْلاً ."
وقول الكاهنة عفيراء في تفسير رؤيا رآها مرثد بن كِلال: "رأيتَ أعاصيرَ زوابعْ بعضُها لبعضٍ تابعْ، فيها لهبٌ لامعْ، ولها دخانٌ ساطعْ، يقفوها نهرٌ متدافعْ، وسمعتَ فيما أنتَ سامعْ دعاءَ ذي جرسٍ صادعِ: هلموا إلى المشارعِ؛ رويٍ جارعٍ، وغرقٍ كارعٍ."

<u>خصائص سجع الكهّان</u>: يُلاحَظ أنها - في جملتها - كلام عام، لا يرشد السامع إلى حقائق جلية، وإنما يضعه في الغموض والإبهام، باصطناع السجع، والإيماء، وقِصَر الجُمل لإلهاء السامع عن تتبع ما يلقى إليه من الأخبار الغريبة، وجعله في حالة نفسية مضطربة تساعد الكاهن على الوصول إلى ما يريد، بكل سهولة ويسر، ويكون المخاطب، بتلك الإشارات الغامضة، والألفاظ المبهمة، والأقسام المؤكدة، والأسجاع المنمقة، مستعداً لقبول كل ما يقال له، بلا جدال أو اعتراض، وتأويل ما يسمعه بحسب حالته ومدى فهمه.
كما يُلاحَظ في نصوص الكهّان أنها تحمل طابع التكلف الشديد في سجعها ولهذا لا يُطمَأنّ إليها كلها، فربما أضيفت إليهم أشياء ليست لهم حقيقة، وربما كان بعضها محفوظاً صحيحاً، لقصره وإيجازه. أما سبب دخولها في النثر الفني فهو قيامها على السجع في عباراتها .

**.4<u>القصص</u> :**

تعدّ القصص أحد فنون النثر الجاهلي التي يروي فيها الراوي وقائع وأحداث من أخبار الأمم السابقة مثل أخبار العرب البائدة، وإرم ذات العماد، وعام الفيل، وحكايات مأرب وسيل العرِم، وغيرها. كان القُصّاصُ يروونها في أوقات سمرهم حول مضارب خيامهم وفي مجالس أهل القرى والحضر. وقد تعرض كثير منها للتحريف والتبديل، ودخلها الكثير من الأساطير بسبب طول العهد، واقتصارها على الانتقال الشفاهي الذي يعتمد على الذاكرة في ظل عدم وجود مصادر مكتوبة لها.

<u>الوصية</u> : هي كلام يُراد به النُّصح والإرشاد صادر من الألسن، أي يقوله كبير العمر الذي اكتسب تجربته في الحياة، فينقل هذا الكلام إلى مَن هو أصغر منه أو أقلّ منه تجربة، ومن خصائص الوصايا أنّها تختص بموضوع النّصح والإرشاد، فتتضمن الحثّ على السلوك النافع، كما تتميّز بتناسب الجُمل ودقتها، فهي نتيجة الخبرة الطويلة، والملاحظة الدقيقة، ومن أعلام الوصايا في العصر الجاهلي: وصية زهير بن جناب الكلبي، ووصيّة زوجة عوف بن ملحم يا معشر عدوان: " [الشيباني، إضافة إلى وصيّة عامر بن الظرب لقومه، والذي يقول بها: ١٣ لا تشمتوا بالذلة، ولا تفرحوا بالعزة، فبكلّ عيش يعيش الفقير مع الغني، ومن يَرَ يومًا يُرَ به، وأعدوا لكل أمر جوابه، إن مع السفاهة الندم، والعقوبة نكال، وفيها ذمامة، والليد العليا العاقبة،

**وإذا شئت وجدت مثلك، إن عليك كما أن لك، وللكثرة الرعب، وللصبر الغلبة، ومن طلب شيئا وجده، وإن لم يجده أوشك أن يقع قريبا منه".**

❖ **أسباب قلة النصوص النثرية الجاهلية الموجودة لدينا في العصر الحاضر؟.**

**على الرغم من وجود كتّاب قلائل في العصر الجاهلي، فإن التدوين لم يكن شائعا لأسباب منها**
**-1عدم وجود دولة قائمة وقوية، بل كانت كل قبيلة هي دولة نفسها .**
**.2عدم الاستقرار في منطقة معينة لأن معظم العرب كانوا قبائل رحّل، وأهل القرى كانوا في خطر من مداهمة الغزاة الذين يمكن أن يظهروا في أي وقت .**
**.3عدم استتباب الأمن بشكل عام بسبب الحروب والأحقاد المتوارثة بين القبائل .**
**.4عدم وجود مؤسسات تعليم ومكتبات لأن هذه المؤسسات يحتاج إلى دولة قوية توفر العدالة والأمن وتنشر المعرفة وتهيئ وسائل العيش الكريمة لضمان الاستقرار في مناطق معينة.**
**وهكذا، لم يبق أمام العرب سوى الاعتماد على الذاكرة، التي حفظت كثيرا من الشعر بسبب إيقاعه وأثره الكبير وتناقلته إلى أن وصل إلينا، بخلاف النثر الذي يفتقد للإيقاع الموسيقي،**

**المراجع المساعدة :**

**أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام.**

https://sotor.com